طقوس العبورفي المجتمع المزابي بغرداية: طقوس الزواج نموذجا: مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية

Les rites de transit dans la société Mozabite à Ghardaïa: le cas des rites du mariage

Rites of passage in the Mozabite community of Ghardaia - marriage rites as a model: a socio-anthropological approach.

طالبة دكتوراه بوزيد عائشة

جامعة وهران2 محمد بن أحمد

البروفيسور خواجه عبد العزيز

جامعة غرداية

تاريخ الإرسال: 07-04-2021 - تاريخ القبول: 28-07-2021 - تاريخ النشر: 13-06-2023

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على طقوس العبور في المجتمع الميزابي بغرداية المنطقة المعروفة بالتعدد الإثني والمذهبي. ممثلة بطقوس الزواج التي تكشف عن طرق هذا المجتمع في حفظ توازنه واستقراره واستمراره من خلال استقرار قيمه الكبرى، كما تهدف إلى توضيح المؤسسات العرفية التي تؤطر هذه الطقوس وتزكيها إضافة إلى تناول استمرار هذه الطقوس وتجددها في مواجهة التغير الثقافي وما يثيره من نوازع لدى الأفراد لمسايرتها أحيانا. و قد أظهرت الدراسة أوجها لهندسة هذه التنظيمات لطقوس العبور التي توضح مدى تأثيرها في حفظ هويتها وقيمها من خلال التأطير الجبري لطقوس الزواج بما يناسب التغير باعتباره عبورا اجتماعيا. كما أوضحت محورية مفهوم التبريت في المجتمع المزابي كوسيلة لاحترام سلطة العزابة وضمان فاعلية قراراتها، وهو ما يوضح قوة وأثر المؤسسة الدينية وفعاليتها لتحقيق مصلحة الجماعة والأفراد على حد سواء.

الكلمات الدالة: مزاب؛ المؤسسة العرفية؛ الطقوس؛ طقوس العبور؛ طقوس الزواج.

Abstract

This study aims to identify the rites of transit in the Mozabite community in Ghardaïa, known for its ethnic and sectarian diversity. The study focuses on the rituals of marriage that reveal the ways employed in this society to maintain balance, stability, and continuity, through the stability of its great values. In addition, the study aims to clarify the customary institutions that frame and

recommend these rituals, as well as explore the ways to achieve the continuation of these rituals and their adaptation in the face of cultural change and the tendencies of individuals to keep up with them sometimes. The forced framing of marriage rituals is appropriate for change as a social transit, as well as the centrality of the concept of Disclaimer in the Mzab society as a means of respecting the authority of bachelor and ensuring the effectiveness of their decisions. This shows the strength and impact of the religious institution and its effectiveness for the benefit of both the community and individuals alike

Keywords: Mozab; customary institution; rituals; rites of passage; marriage rites.

Résumé

Cette étude vise à identifier les rituels de passage dans la communauté mozabite de Ghardaïa, une région connue pour son pluralisme ethnique doctrinal, phénomène représenté par les rituels de mariage qui révèlent les voies de cette société pour maintenir son équilibre, sa stabilité et sa continuité à travers la stabilité de ses valeurs majeures, Elle vise également à identifier les institutions coutumières qui encadrent et recommandent ces rituels. Elle aborde la poule maintien et le renouvellement de ces rituels face au changement culturel et les impulsions qu'il suscite chez les individus pour les suivre. L'étude a montré des aspects de configuration de ces rituels dans le cadre des organisations qui illustrent l'ampleur de leur impact sur la préservation de leur identité et de leurs valeurs à travers le l'encadrement forcé des rituels de mariage d'une manière qui convient au changement en tant que passage social. Elle tente également d'expliquer la centralité du concept de Tabriet dans la société mozabite comme moyen de respecter l'autorité l'institution ''ALAZZABA'' et d'assurer l'efficacité de ses décisions, ce qui illustre la force et l'impact de l'institution religieuse et son efficacité à réaliser l'intérêt de la communauté et des individus.

Mots-clés : Mzab, institution coutumière, rituels, rituels, rituels de mariage

مقدمة

تُعرف منطقة غرداية شمال صحراء الجزائر بخصائص عدة، إذ تجمع بين مجموعات بشرية مختلفة بين بربرية إباضية معروفة بالمزابية، وعربية مالكية المذهب تعرف بالعرب وذلك منذ أزمنة قديمة ومع ذلك تحتفظ المجموعة الميزابية بعدد من خصائص نظامها الاجتماعي القديم رغم التغير الحادث. ورغم الرافد الآخر الذي ميّز جغرافية المكان كمنطقة ربط وعبور بين شمال الجزائر وجنوبها، الشيء الذي ساهم في جعلها مرتعا تجاريا خصبا بما يعني احتكاكا بشريا أقوى بتباينات أخرى. إذ نجد وبالمحصلة وجها ثقافيا واجتماعيا مختلفا. إذ ظلّت مزاب تحافظ على قدر كبير في طقوس العبور المميزة

لها بتكيف يراعي معطيات الفترة تسهم فيه خصوصيتها الثقافية التي اشتهرت بها كطقوس الزواج، ما يشّكل لأي باحث أنثروبولوجي أو اجتماعي مخزونا ثقافيا مغريا داعيا للبحث والتنقيب لاستكشاف هذه المجموعة بما تسمح به أعرافها، استجلاء لعناصر المكّون الثقافي الذي تشكل عبر مراحل تاريخية قديمة مختلفة خاصة تلك التي تعنى بطقوس العبور المختصة بتكوين اللّبنة الاجتماعية الأولى والموسومة بطقوس الزواج، التي تكتسي من القداسة الشيء الكثير لدى عامة المجموعات التقليدية كطريقة لتجاوز الفروقات وتأكيد الحدود والأعراف والممارسات والقيم والمعايير(فولف،2018).وعلى هذا الأساس كان اختيار البحث لجرد هذه الطقوس الانتقالية ومعرفة المؤسسات الاجتماعية التي ترعاها وتقف وراء تكيفها المستمر.

إنّ استكشاف طقوس الزواج في مزاب هو كشف عن طرق مواجهة الحداثة في المجتمع التقليدي وتتبع لعناصر خط إعادة إنتاج القّيم، وتحديد للعناصر الفعّالة في نظامه العرفي، تلك التي تحدد وسائل الضبط الاجتماعي المجددة لقوانينه الاجتماعية لضمان دوام فاعليتها التي صنعت ميزة المجتمع المزابي في سيادة تلك الأنظمة كمسيّر فعلي لحياة الناس تتوارى أمامه كل سلطة في سبيل استمرار المجتمع.

1. عرض نقدي لأهم اتجاهات الدراسات والبحوث السابقة

هناك دراسات عدة تناولت موضوع طقوس العبور أشهرها على الإطلاق ها الدراسة القاعدة المنظرة للموضوع لصاحبها أرنولد فان جينيب (A.V.Gennep) المتضمنة في كتابهles rites de passageالذي تناول فيه مجتمعات عدة بغرض دراسة دقيقة ومفصلة لكل الطقوس المصاحبة لانتقال الفرد من وضع لآخر في حياته الاجتماعية موضحا أن ذلك يخضع لأزمنة وأمكنة وحالات محددة وفي عتبات ثلاث هي:الانفصال، الهامشية،الاندماج -الدراسة الثانية للباحثة إميلي ماري غواشون (A.M.Gouachoun) في كتابها la vie feminine du M'zab ,étude de sociologie musulmane وهو عبارة عن دراسة إثنو-أنثروبولوجية شملت عموم المجتمع المزابي نشأة وتشريعا وتتبعت فيه المرأة خاصة في كل مراحل حياتها .ما يهمنا فيه حديثها عن الوصف الظاهري الدقيق لطقوس العبور كلها لكن دون التركيز غالبا على التحليل السوسيولوجي.

أما الدراسة الحديثة فهي أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التربوي والديني للباحث:فخار إبراهيم بعنوان"طقوس العبور وإعادة إنتاج القيم في الأسرة الميزابية-دراسة سوسيو أنثروبولوجية من الميلاد إلى البلوغ غرداية نموذجا-2018-2019 استعمل الباحث المنهج الكمي التحليلي المدّعم بالمنهج الوصفي وذلك بملاحظة طقوس العبور من الميلاد حتى البلوغ في مزاب وقد أبرزت الدراسة الأهمية الطقسية لختان الذكور وثقب أذني الإناث كما أهمية حفظ القرآن الكريم ودخول المدرسة إضافة لأداء شعيرة الصلاة والصيام الأول للطفل وعلاقتها بقيم خاصة مقصودة الإرساء والإذكاء.

2. عرض منهجية الدراسة

2.1 الإشكالية

تتميز الطقوس عامة وطقوس العبور خاصة بوجه مهم في إنشاء المجتمعات ثم الحفاظ عليها مستقرة باستمرار(فولف،2018)، وهو ما يعني قدرا عاليا من القدرة على دوام المتكيف مع تغيرات الأزمنة بما يوافق روح قوانينها العرفية الهادفة للحفاظ على قيمها الكبرى، خاصة في الفترات الأخيرة التي تميزت بضغط حداثي عميق وعام برز بوجه خاص في المجتمعات التقليدية (طوالبي،1988) التي تحاول تحقيق دوام استقرارها ومثاله المجتمع المزابي بغرداية الذي يتطلع البحث إليه مستشفا صنيعه الطقوسي الخاص، ذلك الذي أرغم الأفراد فيه كما الجماعة على الامتثال لأساليب المؤسسين وطقوسهم ومن ثمة يصبح تمثل طقوس العبور تمثيلا لهوية خاصة.

ولذا فإنه بوجه ما تعتبر طقوس العبور منصة مناسبة لعرض ذلك وبوجه أكثر دقة فطقوس الزواج في ذلك أعمق إذ هي الأصعب والأوسع والأخص في تحقيقه واقعا اقتصاديا وثقافيا متكاملا باعتباره حادثة فريدة شبه مقدسة في المجتمعات التقليدية ورغم ذلك لا يزال تنظيم طقوس الزواج في المجتمع المزابي إلى حد ما يتم بلا كثير مظاهر دخيلة معلنة وفق إملاء مؤسساته العرفية (خواجة،2017) الرامية لتسهيل الانخراط في الحياة الجديدة وبما يثير الاهتمام بهذه الطقوس القديمة المستنسخة تحديدا دون أن يمسها كثير الازدراء أو التقليل وبخاصة جودة الأداء فيها وما يثيره من ترابط اجتماعي أو بعد جمالي وهو اهتمام يستهدف الإطار والكيفية والوسيلة ويطرح **الإشكال الرئيس**.

-كيف تحافظ طقوس الزواج على استمرارها في المجتمع الميزابي بغرداية؟

ماهي الهيئات العرفية المنظمة لطقوس الزواج في المجتمع الميزابي بغرداية؟

-ماهي الإجراءات التنظيمية التي تتخذها الهيئات العرفية المنظمة لطقوس الزواج في المجتمع المزابي بغرداية

1.1.2 فرضيات الدراسة

-تتكيف طقوس الزواج باطراد لتحافظ على استمرارها في المجتمع الميزابي بغرداية.

-تشكل العزّابة ومؤسساتها الهيئات العرفية المنظمة لطقوس الزواج في المجتمع الميزابي بغرداية.

- تشكل التبرئة إجراءا تنظيميا تتخذه العزابة لضبط طقوس الزواج في المجتمع المزابي بغرداية.

2.2 نوع الدراسة ومنهجية البحث

1.2.2 نوع الدراسة

تعتبر هذه الدراسة عملا إثنوغرافيا ركز على الثقافة في شقها غير المادي القائم على "الملاحظة والوصف غير الدقيق والمستمر لأحوال مجموعة اجتماعية معينة وليس من هموم الباحث الإثنوغرافي أن يصف سلوك المجموعة وإنما يسعى إلى فهم ثقافة هذه المجموعة من الداخل"(سمير، 2018،ص18)، إذ طقوس العبور كظاهرة ثقافية تستدعي جمع معلومات مفصلة حقيقية بغرض تحليلها وتفكيك رموزها للوصول إلى استنتاجات .ولذلك استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي الكيفي "طريقة يعتمد عليها الباحث في الحصول على معلومات دقيقة تصور الواقع الفعلي وتسهم في تحليل ظواهره "(رحاب، 2014، ص5) حيث يعتبر هذا المنهج الأنسب للعادات والتقاليد باستقراء الظاهرة عند المبحوثين وهو ما يوفر مرونة عالية تعطي صورة أدق لفهمها وهو المنهج الذي يستخدمه الباحث في دراسة موقف معين من خلال بحث الشواهد والتجارب والوثائق المكونة لوضعه الطبيعي لجمع البيانات والمعلومات المحققة للغرض العلمي المنشود. (سلاطنية، الجيلاني، 2012، ص18).

2.2.2 أدوات جمع البيانات

بما أن الدراسة وصفية تحليلية كيفية تهدف لفهم الظاهرة لا تعميمها فقد ناسب ذلك استخدام المقابلات في عينة قصدية، حيث يميل كثير من المبحوثين إلى تقديم إجابات شفوية وباسترسال في الحديث ناتج عن الأريحية إذ أعاننا ذلك على فهم رمزيات الطقوس بشكل أدق كما ساعدنا في فهم الاختلافات التنظيمية للطقوس بين مختلف البلدات ومن ثمة بروز تقاطعات مجتمع الدراسة التي أعطتنا فهوما موحدة أو مختلفة للرمزيات ومنشئها وبيان الأكثر شيوعا أو حتى تحديد ما توارى منها بفعل إلغاء المؤسسات العرفية له.

كما استعملنا الملاحظة بغير مشاركة تلك التي يخطط لها الباحث مسبقا ويضع لها قواعد وضوابط ويهدف من خلالها الغوص في كنه الظاهرة واكتشاف قوانينها والبحث في العلاقات الخفية التي توجد بين قوانينها أو بينها وبين الظواهر الأخرى (ابراش،2008، ص263) وذلك من خلال مجموعة من الصور التي أرّخت لطقوس لأعراس الجماعية عند الرجال خاصة في يومها الثاني عند أصحابها خاصة إضافة تلك الموجودة في الأنترنت.

3. عرض النتائج

بعد طرح سؤال كيف تتم طقوس الخطبة والعقد في المجتمع الميزابي؟ كانت إجابة المبحوثين1-2-4 والمبحوثات1-2-3-7-9 كما يلي: تتمايز فترة الخطبة (اقاول أو المقاولة أو لمقاولت) بين القصور لكنّها تتم بسرّية وبلا مراسيم وفيه تمنع العزابة تقديم أية هدايا كما بعده باستثناء بعض الهدايا البسيطة في المناسبات المتعارف عليها. تعتبر هذه المرحلة الهامشية الإعدادية طويلة الأمد لكنها إشعار بمفارقة العزوبية وتمهيد فعلي للانفصال يقتضي التزود بخبرات للبيت المستقبلي إضافة للإعداد المادي لكلا الطرفيين.

1.3 عقد الزواج

يخضع العقد إلى تعديل دوري في قيمة المهرمواكبة للظروف الاقتصادية والاجتماعية بعد اجتماع أعيان العشائرمع العزابة وذلك فيما بين خمس إلى عشر سنوات تبعا لقيمة الدينار والقدرة الشرائية في كل قصر على حدة إذ تتباين قيمته كثيرا بين القرى السبع بالنظر إلى تباين الظروف الاقتصادية.يتم عقد الزواج بعد تحديد موعد تسليم المهر أو"مقيولة " بعد مطابقته لتقنين الهيئة في الأعراس الجماعية ومن ثمة تسليمه من طرف

الرجال فقط شهرا فقط قبل الزفاف تحت مراقبة العزابة ودون مراسيم وبدون دعوات نسائية مع خضوع حيثيات الضيافة لضوابط الهيئة، لأنه في حالة مخالفة لأي قرار من العزابة يتم إعلان البراءة من المخالف إلى حين توبته وهذا يعني مقاطعة العرس من العزابة وهيآتها إضافة للمدعوين وعليه يفقد المخالف كل شرعية له في الجماعة إضافة لعدم تغسيله عند موته حيث يتوّلى ذلك المقربون من أهله. (Cherifi, 2015, p371).

أحيانا يُحوَّل المبلغ المالي عند الصائغ إلى قطعة ذهبية أما لواحقه فمجموعة ألبسة محددة تطلب أحيانا جاهزة مباشرة من عند باعة القماش المزابيين فقط لأنهم الأدرى بمعايير الهيئة.بقية المهر كبش يسلم قبل العرس بيومين فقط .مجمل تراتيب الأعراس غير موّحدة في مزاب بل هنالك اختلاف لكن الأساسي هو أن هيئة العزابة مشرفة كليا على طقوس الزواج . يتلقى كافة المقبلين على ما يشبه دورات تكوينية شمولية لما تستتبعه وظائف الدور القادم إذ تتلقى الإناث تكوينا عند مختصين كطبيب الجلد، أخصائية تجميل، إضافة لمرشدين نفسيين وقانونيين وموجهين دينيين وهذه نقطة ظهرت قبل15 سنة خلت لكنها في الحقيقة تقليد قديم.

دائما يتم عقد الزواج في المسجد ثلاثة أيام قبل الزفاف بلا مراسيم وبحضور المصلين بغرض الإشهار وقد يتم في دار العشيرة بعد إملاء الشروط حسب اتفاقات مجلس عمي سعيد ثم يُسَّجل في المصالح المدنية (قشار، ص104-105) هذا يوضح أن مجمل الخطوات هي إشعار بمفارقة للعزوبية وفقدان نهائي لميزاتها كلها تفصيلا وإجمالا.

2.3 طقوس الزواج عند الرجال

بعد طرح سؤال ما هي مراسيم الزواج في يومه الأول عند الرجال في المجتمع المزابي؟ كانت إجابة المبحوثين1-2-3 -4-7كما يلي:

1.2.3 طقس أيريض (التتويج أو التلباس)

هذا الطقس هو الحفلة الرسمية بأمر العزابة حيث تتكفل به العشيرة بطريقة تفصيلية وذلك في عرس جماعي خلال فترتين وذلك شهري مارس وديسمبر .تُفوّج لجنة للعرس العرسان في مجموعات يعلن عنها في جداول بالتزامن مع بقية القرى في أيام مختلفة تجنبا للاكتظاظ ثم تحدد التكاليف بالتساوي بينهم حيث يدفع القادرون مساهمتهم فيما تتولى العشيرة ما بقي لغير القادرين كما تحدد قائمة ألوزران(الوزراء)إذ العرسان بنظر

الجماعة ملوك وهؤلاء هم من يتكفلون بالعرس والعريس بما في ذلك تكوينه لتحمل المسؤولية الجديدة إضافة لتحضير دار الحجبة وهي الغرفة التي تضمهم أيام العرس وعليه توّزع الدعوات للمدعوين ليتلقى العرسان أخيرا إشعارا إذ يعد هذا الإشعار بمثابة الإعلان الديني الذي يتضمن قائمة بأسماء العرسان وزوجاتهم وأصهارهم وسنة الزواج.

2.2.3 طقس تاشميست (الحزمة)

يعد تاشميست طقس انفصال واضح عن الأم لذلك يؤقت قبل بدء مراسيم التتويج مباشرة كتثمين به تتأكد قيمتها الإنجابية والأخلاقية من خلال دخول العريس أو آسلي بالمزابية عليها بلباسه التقليدي الأبيض الناقص قصدا حيث تتولى مساعدته في كمال ارتداء قميصه الأبيض إعلانا مقصود التوقيت بكمال وتمام مسؤولياتها وإعلان مسؤوليته هو عن أسرة جديدة لهذا تذرف الدموع من الجميع كمؤشر انفصال عن مكانة ووضع سابقين نحو استحداث الجماعة وضعا آخر. بعدها تقوم الأم بمباركته وتبخيره كذلك ثم تسقيه من شراب تكروايت (نقيع أعشاب مع عصير الليمون) الشيء الذي يؤمن إسهاما في عبور نفسي آمن للانتقال نحو حياة جديدة. يغادر العريس رفقة وزرائه نحو دار العشيرة ليشارك في مراسم التتويج.

يبدأ الحفل بقراءة سورتي الفتح أو الأنعام ثم يقوم كل فرد من العزابة إلى العريس الموكل ويوجهه للقبلة ثم يخرج له من رزمته الشعار الرسمي للعزابة "الحايك" وهو عباءة صوفية مصفرة اللون إضافة للعمامة والبرنوس التقليدي مع قطعة قماش حمراء تثبت أعلى العباءة دلالة على أن أصبح فارسا متوجا (قواشون، 2019، ص107) كما يقلده خنجرا.

يتلو العزابي الآية83 من سورة الأنعام (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ على قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُۗإِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) كرمز على عبور للشاب وتقلده مسؤوليات الدور الجديد وهذا شاهد إعادة تجميع وإحراز المكانة الجديدة اجتماعيا أخيرا يعطر العريس ليأتي دور الصغار كأهم مشروع اجتماعي قادم. الاتجاه نحو القبلة ربط للطقس بالمقدس يشير للهوية الأولى ومركز المقدسات الإسلامية، عماد عبادات المسلم ومنها الزواج كواجب ديني ومنها يستمد قدسيته كما بقية القيم وبشهادة جماعته الحاضرين، ومنه فالزواج انتماء وطقوسه هوية تجعلنا نفهم المكانة المعتبرة للشخص المتزوج دون العازب وسعيه لتحقيقه من خلال المكانة التي تمنحها إياه زوجته خاصة، لذلك فهذا التتويج

تحول حقيقي للمرأة تلك التي أعلن عن وجودها قرينة للزوج المتوّج فوجودها الاجتماعي أصبح معروفا بهذا الوسم كقاعدة للأسرة النواة التي أرسيت فعلا.

تختتم العزابة هذا الطقس بدعاء الأكل ثم بالدعاء علنا للعرسان ليؤمن الكل عليه كشهادة مجتمعية فعلية ثم يلقي أحدهم كلمة تهنئة وموعظة للحاضرين كإمضاء على مشروعية هذا الزواج اجتماعيا ومباركتها له إنشاء واختتاما يُشرع بعدها في تناول الوجبة الوحيدة التي قرروها بعدها يمكن للضيوف المغادرة ولذلك يصطف الأعيان ومن معهم مرة أخرى عند الباب لتلقي التبريكات وشكر المدعوين على الحضور.

أحيانا يتجه العريس بعد إحرازه المكانة الجديدة نحو والدته وبقية محارمه مجددا ليباركن هذا التتويج النهائي أما مظاهر الفرح فتستمر فيما تبقى من وقت، على أن وجبة العشاء الاختيارية تكون في منزل العريس أو دار العشيرة إذ كل عشيرة مسؤولة عن أفرادها.

3.3 طقوس اليوم الثاني والأخير

بعد طرح سؤال ما هي مراسيم الزواج في يومه الثاني عند الرجال في المجتمع المزابي؟ كانت إجابة المبحوثين1-5-6-7كما يلي:

قبل صلاة فجر اليوم المؤالي يتجه العريس الذي تخلى عن لباس العزابة مع وزرائه ومرشديه نحو دار الحجبة لصلاة الفجر ثم يتناولون وجبة الإفطار ليغادروا بعد طلوع الشمس رفقة جمع غفير نحو المقبرة للترحم على مؤسس القصر حسب الأسطورة المتداولة أو على الأموات الأقارب وهنالك يقسم "المعروف" وهو صدقة تتكون من خبز منزلي وتمر. يقوم العريس بقسمة خبزة على شطرين بيده مرة واحدة كإشارة رمزية لدوره المستجد، فما يحصّله من رزق سيقسم مع الشريك الجديد وهذه أولى مترتبات المكانة الجديدة وأدّلها على إعادة التجميع. تقرأ آيات قرآنية على الأموات مع الدعاء لهم ثم يتقدم أحد المشايخ بنصيحة تذكيرية.

يعد هذا احتفاء بالمؤسسين وضرورة تذكر الأموات واعتبار لتأثيرهم وتنبيه للحاضرين أنه رغم الفرح القائم إلا أن الموت نهاية أكيدة تستدعي يقظة دائمة. اختيار هذا المكان كما تحرّي مكان التتويج العلني له بعده النفسي والاجتماعي في ربط الفرد بجماعته باعتبارهم الأصل وهذا فعل الطقوس في إعادة إدماج الأفراد كما أن توقيت زيارة المقبرة

إيقاف مؤقت للزمن الحالي لصالح الزمن الأصلي كربط للأسطورة بالطقس وأثرها في فاعليته.

1.3.3 طقس (اكبي فأخف تقبيل الجبهة)

يعود الجمع أدراجه من المقبرة حيث يجدون بقية العشيرة بانتظارهم فيتقدم العريس ليقبل رؤوس كبار أقاربه وأعضاء العزابة ويتلقى هداياهم المالية. لاحقا يتوجه رفقة وزرائه إلى بيته حيث تستقبله إحدى أقرب كبيرات محارمه سنا كترميز لقيمة كبار السن ثم يتجه صوب أمه ليقبل جبهتها وجدته حصرا ثم يشكر بقية محارمه وأطفالهم. طقس الشكر هذا هو اعتراف بجميل التنشئة والتزويج تستحقه الأمهات ولذلك كان البدء بهن دون استثناء الأقارب كإيعاز لركنية المرأة في التنشئة الاجتماعية وتأكيد على دور القرابة في الوصول إلى المكانة الاجتماعية الجديدة ودليل إعادة الاندماج

2.3.3 طقس أصبارك (التبريك)

هو الآخر طقس تجميع رمزي إذ يوضع أمام العريس صحن كبير مرتفع يحوي قطعة قماش برتقالية ترمز إلى التمنيات بدوام المودة بين الرفيقين الجديدين وكبة صوف خضراء تشير إلى مسؤوليات العروس حسب على تقسيم العمل الاجتماعي المثمر والداعي لتعلم ماله صلة بالخيوط والصوف إضافة لصرة قطع نقدية بسيطة تنبه العريس إلى الناتج الصغير الداعي للكدح بجهد.

إضافة لحبة برتقال مر(لارنج)مزينة بأعواد القرنفل تشير إلى المفهوم الجماعي للحياة إذ هي مرة الطعم وعقباتها تستدعي التعامل الحذق معها. هذا الطقس موجه من المجتمع للعروسين ولدورهما المنوط بهما وهو دليل إعادة اندماج العروسين مع الجميع وعودتهما من الانفصال السابق بوصفهما الجديد. نهاية اليوم تختم كل هذه الطقسيات بطقس عشاء على شرف ألوزران في بيت العريس إضافة لأقاربه فقط وفيها يتلقى العريس للمرة الأخيرة جملة نصائح تدور حول مسؤوليات الأسرة الجديدة.

4.3 طقوس الزواج عند المرأة الميزابية

بعد طرح سؤال ما هي مراسيم الزواج في كلا اليومين عند النساء في المجتمع المزابي؟ كانت إجابة المبحوثات1-2-3 -4-5-6-7-8 -9- كما يلي:

1.4.3 طقس ألحني (الحناء)

في كل القصور المزابية تتولى هيئة تيمسديرين أعراس النساء لتضمن تطبيق قرارات المسجد باعتبار النساء أدرى بأمور بعضهن يبدأ من طقس ليلة الحناء الرّسمية الطقس الأنثوي الخالص في بيت العروس "تاسلت" حيث تخضب الحناء على كل رجليها وكفيها كوسم مميز لها فقط. هذا الطقس مؤشر توديع العزوبية له أثره في نفس الفتاة وأهلها ولذلك تستبقي العازبات اللّاتي رافقن العروس فيه للنوم معها لأنهن من مكانتها السابقة كما أن وزيرتها من مكانتها المستقبلة ولذلك فإن وضعها متذبذب كليا وغير مستقر بين المرحلتين ،فهو طقس انفصال واضح عن العزوبية وحد لأدوارها التي توّجها وضع الحناء لها من متزوجات إمعانا في تأكيد مفارقتها للعزوبية لكن بشكل متدرج يتضح ذلك في مظهر العروس واختيارها الدارج لدى العازبات وهو ما يتفق مع حفل وداع مرحلة عمرية ولّت ولذا فلا التزامات فيها قبل التحنية أما بعدها وبأمر العزابة فالعروس ممنوعة من طقس الحمام أو الذهاب للحلاقة كأولى مترتبات الانفصال.

2.4.3 طقس آسوفي

في الموالي تظهرالعروس بمظهر تقليدي حيث تقام حفلة (أسكوبر)بإشراف العزابيات تفتحها إحداهن الحفلة بقراءة القرآن مع موعظة ودعاء تعقبه أناشيد. أما في المساء فتختلف حلّة العروس حيث تأتي قريبات العريس لرؤيتها فيسلمن عليها ويزغردن ثم يخرجن لأن هذا الطقس يتم بلا صنوف الضيافة لبس العروس أيام العرس موّحد في كل قصر وهو ذاته الملحفة التقليدية المعروفة في الجزائر كلّها أما الحلّي المستعمل فغالبا مستعار من مالكاته اللاّتي وقفنه للصالح العام. ليلتها تنظم الوليمة الرسمية بوجبة عشاء اختيارية مميزة يحضرها عدد كبير من النساء تختتمه العروس برقصة خاصة تحية للحاضرات غير أن وظيفته الكامنة هو إزالة خجل العروس وذلك على إيقاع الطبل التقليدي أحيانا. أخيرا تتجه العروس نحو محارمها من الرجال المتجمعين في غرفة منزوية من البيت لتسلم عليهن فيقدمون لها هداياهم المختلفة مع إرشادات حول وضعها الجديد وهذا هو الغرض الأساسي من هذا التجمع التقليد. يشير هذا الطقس إلى القيمة الحقيقية المرأة كحافظة للشرف فهي المحرم والمقدس الذي يمنع الاقتراب من خصوصاته في كل معبر، فهي شرف الرجل ومكانته بل القدر الفعلي الذي يستحق الاحترام لأجله ومن ثمة وجب الاحتفاظ بها مصونة عن الآخرين. والرجل هنا ليس الزوج

ضرورة بل مطلق الرجال الأقارب ومن هنا وجب الاحتفاء بنظرهم بها في وضعها الجديد وربما يفسر هذا بالغ صعوبة التي واجهتنا في الاقتراب مما يعتبر محضورا بنظر الجماعة (Cherifi, 2015 ,p386) أو هو ما يبرر غياب طقوس الحمام على اعتبار الجسد الأنثوي محرّما.

3.4.3 طقس أفرش (التفراش)

صبيحة اليوم الموالي تخرج العروس لزيارة بعض القريبات اللّاتي تعذر حضورهن ككبيرات السن رفقة اثنتين من النساء بالتوازي مع ذلك وحسب ما أملته العزابة تذهب 5 أو 6 من النسوة لبيت العريس لإعداد الغرفة ذات الطابع التقليدي حيث يستقبلن بالحليب والتمر بأمر الهيئة التي حددت كذلك عدد ونوع الأفرشة التي يعدّها أهل العروس للأرضية والجدران والسقف مع ما يعده أهل العريس من سرير وخزانة صغيرة إضافة لكرسي لتعود النسوة أدراجهن بعد تمام المهمة.

4.4.3 طقس الزفاف

بعد عودة العروس من الزيارات السابقة تتناول وجبة الغداء ثم تتوارى إلى حين وقت استعدادها لزفافها بلباس تقليدي مع زينة طبيعية خالصة ثم تُلَّف بكساء صوفي ساتر كليا حتى وصولها إلى غرفتها، إذا كان بيت العريس قريبا فإنّ تنقل الوفد إليه يتم مشيا أما إذا كان بعيدا فبواسطة السيارات. عند وصولها لبيت زوجها تستقبل بالحليب والماء عند المدخل إشارة للفطرة والنقاء تليها العازبات في ذلك تفاؤلا بزواجهن الموالي.

أما الماء فترميه خلفها كرمز لقدسية الماء المرتبطة بمعانيه كأصل للحياة وعصب باعث لها في كل انتقال وعلامة وصل وتلاحم اجتماعي ورمز الخصب والنماء الذي تجره وراءها وبذلك فهو رمز ارتقائها الاجتماعي. استقبال العروس ببيت الأسرة الممتدة دليل اجتماعي على مباركة الأهل لهذا الزواج وعليه فلحظة دخولها هي لحظة التأسيس التي يتوقف عليها تحقق العبور. الاستقبال عند المدخل يشير إلى القيمة الرمزية العالية للعتبة ولذلك يتم بالقدم اليمنى مع البسملة وهو اعتراف عائلي مختلف كليا عن الاعتراف الاجتماعي كما أن رمزية عتبة البيت تعني حرمة البيت كله دون اعتبار للونها وشكلها وتكوينها المادي ولا قيمة البيت نفسه ماديا. صبيحة اليوم الموالي تنزل العروس من غرفتها التي أفطرت بها لتسلم على أهل زوجها وتتلقى التبريكات والتهنئة منهم فلا مدعوين هناك لكن هنالك ضيوف جاؤوا للتهنئة. حسب التقليد المعروف تبعث أمها **قصعة العادة**

(قصعة كسكس) قلّص المسجد حدودها إلى كفاية ستة أشخاص فقط أما الوزيرات اللاّتي فينتهي دورهن بنهاية هذا اليوم الثاني لطقوس العرس المزابي.

4. مناقشة النتائج

-يخضع مجتمع الدراسة إلى قيادة هيئات دينية عرفية، النظام العرفي فيه تبع لنظام ديني رأس الهرم فيه مجلس عمي سعيد ثم مجلس عزابة كل قصر وهيآته التابعة له مثل تيمسدرين أداة مراقبة وضبط طقوس الزواج في المجتمع النسوي إجمالا وتفصيلا أو تنظيم العشيرة، فرع العزابة وعونها لإشهار قراراتها وتنفيذها والتي تتولى طقوس الزواج كافة عند الرجال.

-تمثل طقوس الزواج أحد وجوه تعدد السلطة المختلفة والمتكاملة لدى العزابة وهو التعدد الذي يكسب قراراتها الفاعلية، لأنها تنفذ إلى حياة الجماعة الدينية الاجتماعية التعليمية القضائية وغيرها.

- بعض طقوس الزواج تكيف دوري بناء على أن الطقس هو الوجه الظاهر للمعايير واستجابة للتجربة المعاشة ولذلك تخضع للتنقيح والتغير الخاضع لمنظومة قيم المجتمع والتي يعد الطقس مجسدا لهاو مثاله التغير الفعلي لقيمة المهر ومن ثمة تصبح طقوس الزواج فعلا معروفا مسبقا ومطمئنا للأفراد والجماعة من ناحية القبول ما يعني أن الطقوس نفسها وسيلة قياس مدى الضبط الاجتماعي.

-تعمل الهيئات الدينية على مراقبة طقوس الزواج الذي يشكل عبورا اجتماعيا بوجه أعمق وتأطيرها بما يناسب التغير في فترته وفق رؤيتها الدينية الميسرة للزواج كوسيلة استقرار ونماء اجتماعي وبذلك تصبح العزابة نفسها أداة استقرار المجموعة وقيمها كما تصبح طقوس الزواج تبعا لذلك وسيلة احتفاء جماعي بهذه المواجهة خاصة وأن مبدأ الحداثة دائما عند الأفراد وهؤلاء أنفسهم يحتفون بالطقوس التي تخضع لذات قيم الأجيال السابقة وهو ما نسميه تجاوزا للفوارق الجيلية.

- التبريت مفهوم محوري في المجتمع الإباضي المزابي ووسيلة احترام سلطة العزابة وضمان فاعلية قراراتها، فهدفها إشعار المتبرئ منه بخطئه وليس نبذه أو إبعاده نهائيا ومن هنا يتضح أثرها في الحد من المخالفة كعلاج للعشوائية نحو الرتابة والتكرار الطقسي وإرساء للسلوك المتوقع اجتماعيا والذي يصنع الاستقرار وهذه وظيفة

الطقوس التي تعمل على توحيد الماضي والمستقبل تماما كما يصنع الإحساس بالمشاركة فيها حياة مشتركة ومن هنا يتقوى شعور الوحدة خاصة من خلال شراكة العشيرة ومهامها ومقرها المكاني وأدواتها المادية كعنصر مشترك يعني وحدة الجماعة وهي التي طالما فعلت ذلك حتى قبل وجود العزابة كتنظيم.

-يهدف التأطير الجبري لطقوس الزواج من طرف العزابة إلى حفظ هوية وقيم المجموعة وذلك من خلال تيسير الزواج نفسه ما ينسجم مع القيم الدينية للمجتمع الإباضي، وعليه يقصى كل طقس يمس بذلك سواء كان من داخل المجموعة أو من خارجها فهو ممنوع البتة لاندراجه هو الآخر في موانع حفظ الجماعة وخلخلة قيمها الكبرى التي تقدح في بقاءها واستمرارها ولذلك تواجه بنفس الصرامة.

خاتمة

الطقوس اختراع بشري يعبر رمزيا عن معان متضمنة تشير لطريقة عيش المجتمعات وتفكيرها، كما تشير كذلك لتواصل رمزي يؤصل لعادات عامة. وعلى هذا فكلّما استطاع المجتمع الاحتفاظ بطقوسه حقق وصل الأجيال ببعضها وضمن ولاء الأفراد لقيمها الكامنة في رموزها جهلها أو أدرك معناها وهو ما نجده في هذا المجتمع التقليدي بغرداية الذي يحاول تكييف حاضره وتراثه الثقافي الخاص بطقوس العبور الممثل في طقوس الزواج، خلاصة تفاعل اجتماعي عميق يواجه هجرة رموز حداثية غريبة عنه يعيشها الأفراد فعلا بفعل اكتساح تقني، يسنده في ذلك وسائل داخلية تعرف بالمؤسسات العرفية الدينية التي تعمل على إذكاء الإحساس المشترك وتجديد صنع الذاكرة الجماعية على نقيض الحداثة ومفرزها العولمي الذي يعمل على تغريب الفرد كما المجتمع وبالمقابل وتفعيلا لخلاصة الممارسة الطقسية في تفاعلها الطويل عملت على تثمين جهود أعمدة التنشئة الاجتماعية الناقلة للطقوس ذاتها وذلك من خلال التأكيد على محورية دور الأم ودورها الديني والاجتماعي فبدونها يختل دور هذه المؤسسات وبقية عناصرها الهرمية، دون إغفال دور القرابة من خلال تفعيل دور العشيرة التي تتبنى الطقوس لاستشعارها أهميتها العالية ولنفس الأسباب والعناصر تجد وسيلة الضبط الاجتماعي فاعليتها في تسلسل مستمر.

تتناول مظاهر التكيف الطقسي الجانب المادي الاقتصادي وهذا بطبعه متغير ولذلك فهذا في الحقيقة استباق تصحيحي لوضع لا مفر منه كقيمة المهر وعناصره مثلا ،و لأجل هذا يجد الفرد وجماعته أنفسهم أمام طقوس مناسبة لتجددها المواكب بل هي معقولة كليا وإن كان عموم الأفراد لا تريحهم معقولية الطقس لذاته بل إرضاء قادة المجتمع الفعليين أولائك الذين تسندهم القاعدة الشعبية لمطلق ميزاتهم التي جعلتهم قادة وهنا مربط الفرس فالطقوس لا ترتبط بوعي العامة ولذلك لا يهتمون كثيرا لمغزاها بل لمطلق استنساخها الذي يجدون فيها ذاتهم البعيدة فحسب.

تشكل البراءة فصلا للفرد عن جماعته وهو نفس نهج الحداثة، الفرق هنا أنه فصل عقابي بغرض تصحيح وضع مرفوض وليس فصل تمييز وتمييع لخصائص الفرد بل العكس هو الأصح وهو إعادة دمج ينبه أفراد الجماعة كلهم من خلال مخاطبة الوعي الكامل للأفعال جميعها والمقترفة خاصة في مقابلة تحذير عن كل فعل منقول وكله تنبيه لعمق الدور والمكانة والأثر ليصبح الحاصل شحذ همم الأفراد للانغماس في مجمل الطقوس بوصفها هوية وأسلوب حياة.

المراجع

1. القرآن الكريم.
2. 2ابراش إبراهيم، 2008. المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق، عمان
3. خواجه عبد العزيز، 2017. الضبط الاجتماعي ومعوقاته في المجتمعات التقليدية، نور للنشر، ألمانيا.
4. 4سمير الشيخ، 2018. دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية،بيروت.
5. 5سلاطنية بلقاسم، الجيلاني حسان، 2012. أسس المناهج الاجتماعية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة: مصر.
6. 4طوالبي نور الدين، 1988. الدين والطقوس والتغيرات، منشورات عويدات، بيروت.
7. غواشون أميلي ماري، 2019. الحياة النسوية في ميزاب، ترجمة: سامية نورالدين شلاط، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية: الجزائر.
8. 6غراوتيز مادلين، 1993. منطق البحث في العلوم الاجتماعية، تر سام عمار المركز العربي للترجمة والتعريب والتأليف والنشر، دمشق.
9. 7-فولف كريستوف ،2018. الطقوس الاجتماعية، ترجمة موفق علي السقار، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن.

10. 8- قشار بالحاج بن عدون، 2007. عوائد ميزاب سنن لا تقاليد، دون دارنشر.
11. المراجع الأجنبية:
12. مختار رحاب، ديسمبر 2014. "مناهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي في موضوع أسماء الأعلام "، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد19، جامعة محد لمين دباغين سطيف2، ص92-102.
13. Cherifi Brahim, 2015. *Le Mzabe*, édition SEDIA, Alger.